مقدّمة:

الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب متماسكةً كلماته في آيه، وآياته في سوره، وسوره في جملته، فكان ذلك دليل إعجازه، والصّلاة والسّلام على أفصح العرب قاطبةً، سيّدنا محمّدٍ الصّادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ...

فإنّ الدّراسات النّصيّة تحتلّ مركزاً مهمّاً بين اللّسانيّات الحديثة، حيث أخذتِ النظريّة النّصّيّة تركّز البحث في النّصّ كافّةً بوصفه وحدةً لغويّةً ودلاليّةً كبرى بعد استغراق البحث في مستوى الجملة، ولا يعني هذا أنَّها ألغت ما توصّلت إليه الأبحاث اللّغويّة التي تناولتِ الجملة بل جعلت ذلك منطلقاً لها، وأفادت من نحو الجملة معنىً ومبنىً.

ويُعَدُّ التّماسك النّصّيّ من أهم القضايا التي تدرسها لسانيّات النّصّ، إذْ يجمع بين معيارين أساسيّين من معايير النّصّيّة المعروفة، وهما الاتّساق والانسجام، فلا يكون النّصّ نصّاً إلا بوجودهما، وتدخل هذه الدّراسة الموسومة بـ **(التّضام وأثره في اتّساق النّصّ القرآنيّ، جزء تبارك أنموذجاً، دراسة في لسانيّات النّصّ)** تحت معيار الاتّساق المعجميّ، حيث تتناول التّضامّ؛ باعتباره أداةً فاعلةً في اتّساق النّصّ بفعل ضمانه استمراريّة المعنى وتكوينه شبكةً دلاليّةً تكفلُ ترابط أجزاء النّصّ وتلاحمها.

وقد حرصتُ فيها على توضيح شِقَّي التّضامّ النّحويّ منه والمعجميّ مؤكِّدةً أنّ موضوع الدّراسة هو التّضامّ المعجميّ بحسب المتعارف عليه في الأبحاث اللّسانيّة النّصّيّة، فهي دراسةٌ تطبيقيّةٌ على النّصّ القرآنيّ، تتناول التّضامّ من منظور لسانيّات النّصّ، دون اعتقاد أنّ معايير علماء النّصّ صالحةٌ مطلقاً لتحليل النّصّ القرآنيّ.

وتحاول الدّراسة الرّبط بين القديم والحديث، إذ أكّدتْ قراءةُ تراثنا البلاغيّ على وجه الخصوص أنّ هناك تحليلاتٍ تقترب من التّحليلات المعاصرة للنّصّ، فقد نهجتْ مباحثُ عديدةٌ في علم البلاغة منهجَ المعالجة النّصيّة مثل نظريّة (النّظم) للعلّامة عبد القاهر الجرجانيّ(471 هـ) التي أكّدت على التّضامّ والتّعالق بين معاني الكلمات داخل التركيب، وكذلك أكّد مفسّرو القرآن على التّماسك الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ والمعجميّ والدّلاليّ حين عدّوا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة.

وقد اخترتُ لتطبيق الدّراسة نصّاً قرآنيّاً متمثِّلاً في جزء تبارك؛ لكون القرآن الكريم حقلاً لغويّاً خصباً لمختلف ظواهر الرّبط المعجميّ التي منها التّضامّ بصوره وأنماطه المختلفة.

وتكمن أهميّة هذه الدّراسة في كونها تسدُّ حاجةً نظريّةً وعمليّةً في مجال لسانيّات النّصّ، وهي تُعين على معرفة دور التّضامّ و أثره في تماسك النصّ القرآنيّ، فالوصول إلى الحقائق والأسرار الإعجازيّة والتّعبيريّة في القرآن لا يتأتّى إلّا بسبر غور لغته الكريمة، وكشف سرّ جمال تعابيرها، كما تحاول الدّراسة المزج بين القديم والحديث، بتقريبها بين وجهات نظر علمائنا الأوائل وعلماء اللّغة المحدَثين فيما يتعلّق بهذه الأداة.

وتتمثّل إشكاليّة الدّراسة في مجموعة تساؤلاتٍ تسعى إلى الإجابة عنها، وهي:

ـ ما التّضام؟ وما أهمّ المصطلحات الدّالة عليه؟ وما أهمّ صوره وأنماطه؟.

ـ ما هي المقاربات والمفارقات بين معالجة علماء القرآن وعلماء البلاغة وعلماء لسانيّات النّصّ لظاهرة التّضامّ؟

ـ ما أثر التّضامّ في اتّساق النّصّ القرآنيّ وتماسكه؟ وكيف يتّسق النّصّ القرآنيّ معجميّاً بفعله؟.

وتتمثّل دوافع اختياري هذا الموضوع في الآتي:

ـ رغبتي في الخوض في مجال لسانيّات النّص وتطبيق معطيات هذا العلم على أقدس النّصوص وأفصحها ألا وهو النّصّ القرآنيّ.

ـ التعّرف على كيفيّة إسهام التّضامّ في التّماسك النّصيّ، وتقديم قراءة نصّيّة وفق المنهج اللّسانيّ الحديث.

ـ هذه الدّراسة تهدف إلى الاقتراب من النّظرية النّصّيّة التي تؤطِّر للّغة من منظورٍ لسانيٍّ معاصرٍ، وتساهم ـ ولو بقدرٍ يسيرٍ ـ في بلورة هذه النّظرية الحديثة من جانب الدّراسات اللّغويّة العربيّة.

ـ قلّة الدّراسات التي تتناول التّضامّ المعجميّ في النّصّ القرآنيّ، الأمر الذي بعث في نفسي الرّغبة في خوض هذا الموضوع أملاً في تحقيق فائدةٍ علميّةٍ في مجال الدّراسة النّصّيّة القرآنيّة.

وفضلاً عمّا بذله العلماء المتقدّمون من جهودٍ في بحث التضامّ ـ حيث عالجوه تحت مسمّيات متعدّدة كالنظم والرّصف والمصاحبة والتجاور والنّضد وغيرها ـ فإنّ هناك دراساتٍ حديثةً تناولته بالبحث نظريّاً وتطبيقيّاً، ويُعَدّ الدّكتور تمام حسان أكثر من اهتمّ به في مؤلّفاته، وذلك ضمن بحثه موضوع القرائن النّحويّة، فقد جاء ذكر التّضامّ في كتابه (اللّغة العربيّة معناها ومبناها) الصّادر عام 1973م، كما عرض له في كتابه (البيان في روائع القرآن) الصادر عام

1993م، ثمّ في كتابه (الخلاصة النّحويّة) الصادر عام 2000م، وهو خاتمة دراساته للقرائن النّحويّة.

ومن الدّراسات التي تناولت ظاهرة التضامّ أيضاً:

ـ المصاحبة اللّغويّة وأثرها في تحديد الدّلالة في القرآن الكريم، دراسة نظريّة تطبيقيّة، للباحث حمادة محمّد عبد الفتاح الحسيني، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنين، القاهرة ،1428هـ، 2007م.

وهي دراسة شاملة لظاهرة المصاحبة اللّغويّة، تتبّع الباحث صورَها في المصنّفات اللّغويّة التي زخر بها تراثنا اللغويّ العربيّ، وتناول علاقة هذه الظّاهرة بعلم الدّلالة والنّحو، وعلاقتها بالظواهر اللغويّة الأخرى كالنّحت و الإتباع وغيرها.

ـ ظاهرة التّضام في القرآن الكريم دراسة لسانيّة حديثة وبلاغيّة، سورة يوسف أنموذجاً، إعداد هاشمي بن ساسي، رسالة ماجستير، جامعة محّمد بو ضياف، المسلية، 2016 ، 2017م، تناولت هذه الدّراسة ظاهرة التّضامّ من النّاحيتين البلاغيّة والنّحويّة.

ـ أثر الرّبط المعجميّ في اتّساق النّصّ القرآنيّ، سورتا الواقعة والرّحمن أنموذجاً، إعداد عبد المالك العايب، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، الجزائر، 2013 ـ 2014م، ركّزت هذه الدّراسة على مفهوم النّصّ وعلى آليات اتّساقه، واهتمّت بدراسة التّكرار باعتباره أداة من أدوات الرّبط المعجميّ أكثر من اهتمامها بالتّضامّ.

ـ إسهام التّضام في تماسك النّصّ الشعريّ القديم، معلقة طرفة بن العبد أنموذجاً، لصالح حوحو، جامعة بسكرة، الجزائر، بحثٌ في مجلة الأثر، العدد 23 ، 2015م، أكّد الباحث على أنّ ورود العناصر التّضاميّة يُسهم في النّصّيّة بفعل الإضافات التي تضيفها للنصّ على مستوى المعاني سواء في طابعها التّرادفيّ أو التّقابليّ أو التّجاوريّ أو غير ذلك ممّا يخدم المعنى العامّ للنّصّ، وذلك ما يحقّق مفهوم التناسب المعنويّ الذي يُعَدّ شرطاً ضرورياً لأيّ نصٍّ مُنْجَزٍ.

ـ أثر الرّبط المعجميّ في اتّساق الخطاب القرآنيّ، سورة الشّعراء أنموذجاً، إعداد أمينة بن عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة وهران (1) أحمد بن بلّة، 2017 ـ 2018م، أكّدت هذه الدّراسة على أنّ التّضامّ يشكّل سياجاً عميقاً في السّورة حيث ساهم في اتّساقها من خلال رصف وربط المفاهيم والدّلالات والتّداوليّة لتتفاعل هذه العوامل معاً من أجل إنتاج نصٍّ مترابطٍ.

أمّا هذه الدّراسة فتهدف إلى الكشف عن الإسهامات القديمة والحديثة في مجال التّناول اللّسانيّ للنّصّ لتقديم نظريّة نصيّة عربيّة متكاملة، ووضع تحليلٍ نصّيٍّ معاصرٍ، والمساعدة على بلورة النّظرية اللّسانيّة النّصيّة العربيّة و تأييدها بما جاء في التّراث اللّغويّ العربيّ، وقدِ اعتمدتُ في الجانب النّظريّ منها على المنهج الوصفيّ، مع الاعتماد عليه وعلى منهجَي التّحليل والإحصاء في الجانب التّطبيقيّ.

وتتكوّن خطّة الدّراسة من **مقدِّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس**، وفيما يلي تفصيل بعض مفرداتها:

التّمهيـــــــــــــــد

وفيه ضبط مصطلحات البحث: النّصّ ولسانيّات النّصّ، و التّماسك النّصّيّ والاتّساق، والتّعريف بالنّصّ القرآنيّ موضوع الدّراسة.

الفصل الأوَّل: التّضامّ بين الموروث اللّغويّ العربيّ ولسانيّات النّصّ

المبحث الأوّل: التّضامّ مفهومه وأهمّ المصطلحات الدّالّة عليه.

المبحث الثّاني: أنواع التّضامّ.

المبحث الثّالث: اختلاف العلماء في معالجة ظاهرة التّضامّ.

المبحثُ الرّابعُ: المقاربةُ بين مفهوم التّضام ونظريّة النّظم للجرجانيّ.

الفصل الثّاني: أثر التّضامّ في الاتّساق النّصّيّ

المبحثُ الأوّل: ضوابط التّضام وعلاقاته داخل النّصّ.

المبحث الثّاني: أغراض التّضامّ وأهميّته في الاتّساق.

المبحث الثالث: علاقة المتضامّات بالسّياق داخل النّصّ.

المبحثُ الرّابعُ: منزلة التّضامّ بين وجوه الإعجاز.

الفصل الثّالث: صور التّضامّ وأنواعه في النّصّ القرآنيّ

المبحث الأوّل: التضادّ والمقابلة.

المبحث الثّاني: علاقة الصِّنف العامّ (الارتباط بموضوع معين).

المبحث الثّالث: علاقة التّلازم الذِّكريّ (مراعاة النّظير).

المبحث الرّابع: علاقة الجزء بالكلّ والجزء بالجزء.

المبحث الخامس: علاقة الدّخول في سلسلةٍ مرتَّبةٍ.

خاتمة الدّراسة: وفيها أبرز النتائج التي توصّل البحث إليها.

الفهارس: وفيها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس محتويات البحث.

وقد أفادتِ الدّراسة من مجموعةٍ من المصادر والمراجع تنوّعت بين كتب اللّغة القديمة والحديثة، وكتب البلاغة وكتب التفاسير وعلوم القرآن، وكتب لسانيّات النّصّ، أكتفي هنا بذكر أهمّ هذه المصادر، وهي دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانيّ، وتفسير التّحرير والتنوير لمحمّد الطّاهر بن عاشور، وكتاب لسانيّات النّصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب) لمحمّد خطابي، وكتاب علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق لصبحي إبراهيم الفقي، وكتاب علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق لعزة شبل محمّد، وكتاب نحو النّصّ (اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ) لأحمد عفيفي، وكتاب البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النّصيّة لجميل عبد المجيد، وغيرها من الكتب التي ستتكفّل قائمة المصادر والمراجع ببيانها.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتِ الدّراسة قلّة المادّة العلميّة حول موضوع التّضامّ المعجميّ من منظور لسانيّات النّصّ الحديثة، واختلاف علماء النّصّ في بيان صور التّضامّ وأنماطه المختلفة.

وأنا إذْ أُنهي هذا البحثَ أحمدُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أنْ قيَّض لي من ساعدني على إنجازه، فلا يسعني هاهنا إلاَّ أن أذكر بالوفاء وعرفان الجميل الأستاذة المشرفة الدّكتورة سميّة رمضان خبيزة لجهودها المتميّزة في المتابعة الدَّقيقة لمادّة البحث، وكلُّ التّقدير لعضوي لجنة المناقشة اللّذين تكرَّما بقَبول مناقشة البحث، وإبداء آرائهما وملاحظاتهما القيّمة حوله.
والله – تعالى – أسألُ أن يجعل عملي هذا خالصاً لمرضاته و الزّلفى إليه، وحسبي أنّني بذلتُ ما استطعتُ من جهدٍ، فإنْ وُفِّقْتُ إلى الصَّواب ـ وذلك ما كنتُ أبغي ـ فذلك بفضل الله وحسن توفيقه، وإن يكن غير ذلك فمن نفسي، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

الباحثة